والاحزاب السياسية العربية ايضا، وتظاهرات الشوارع التي تعارض التوطين. ومع ذلك، كانت القضية الفلسطينية تختصر الى مجرد بيانات سياسية توزع في المناسبات التي اصبحت تقتصر على ذكرى وعد بلفور، او ذكرى قرار التقسيم، وقصائد يتلوها شعراء فلسطينيون تشكو الغربة والمنفى، وقصص تحكي البحث عن الخبز والحنين الى مرابع الطفولة في فلسطين.

لقد منعت الحكومات العربية الفلسطينيين من التنقل فيما بينها. فحدت بذلك من الاتصال فيما بينهم. وكانت منطقة الخليج الاستثناء، حيث كانت بحاجة الى العمالة الرخيصة والكوادر التقنية، فوفرتها لهم مخيمات الفلسطينيين في الاقطار التي كانوا قد لجأوا اليها بعد النكبة. وهناك توفرت لرواد الحركة الوطنية الفلسطينية المعاصرة القادمين من بلدان الشتات المتعددة فرص الاتصال والتداول في شؤونهم وشؤون شعبهم، وهناك، ايضا، نمت البراعم الاولى التنظيمية للحركة الوطنية الفلسطينية التي ستقود مرحلة النهوض الفلسطيني، بعد ان كانت جنينا حمله الوافدون من مخيمات الشتات.

ولاسرائيل «الفضل». فباحتلالها غزة العام ١٩٥٥ تعلم فلسطينيو القطاع مواجهتها بالعمليات الفدائية، التي لم ترق الى مستوى حرب العصابات لان الاحتلال انحسر في ١٩٥٦، الا انها قدمت للجيل اللاجيء خبراته الاولى في اعداد العمل المسلح.

وللحكومات العربية «الفضل» ايضا. فبانفصال سوريا عن مصر وانهاء اول تجربة وحدوية هامة، في العصر الحديث، انتفى الحلم الفلسطيني بان تكون «الوحدة طريق التحرير». وبدأ الفلسطينيون، خاصة نخبتهم، يعون انهم ما لم يتولوا زمام قضيتهم بانفسهم فسيكون مصيرها ومصيرهم الاندثار.

وكمحصلة للسنوات السبع عشرة التي تلت النكبة، وكرد فعل على الممارسات العربية والاسرائيلية والعالمية تجاه الفلسطينيين وقضيتهم، تبلور وعي على الساحة الفلسطينية بدأ يترجم نفسه بدايات تنظيمية تتوجت بانفجار الدمل الفلسطيني، اولا في الاطار العروبي الرسمي (جامعة الدول العربية) فتشكلت منظمة التحرير الفلسطينية، وثانيا في الاطار الشعبي الفلسطيني والعربي، فنبتت منظمات العمل الفدائي الفلسطيني.

وكان «الفضل» ثانية، لاسرائيل وللحكومات العربية معا. فقد حاربت الاولى في ١٩٦٧ وانهزم الآخرون امامها مفسحين لها في المجال لاحتلال ما تبقى من فلسطين واجزاء اخرى من اقطارهم، فاعتمدوا شعار «ازالة آثار العدوان عن اراضيهم»، وافسحوا في المجال للفلسطينيين ليتولوا امر قضيتهم بانفسهم تحللا من المسؤولية، فشبت العنقاء الفلسطينية من صلب الهزيمة ردا على السقوط العربي.

محاولات لتربيع دائرة العمل الفلسطيني

من عمان الى بيروت الى دمشق فطرابلس (١٩٧٠، ١٩٧٥، ١٩٨٢، ١٩٨٣). اربع محطات تشكل، بغض النظر عن دوافع كل طرف في كل منها، نقاطا لو تحقق الوصل فيما بينها لانتهت تجربة منظمة التحرير الفلسطينية الى ما انتهت اليه اللجنة العربية العليا وحكومة عموم فلسطين.

فالاردن خاض حربه ضد منظمة التحرير الفلسطينية على مسألة تمثيل الفلسطينيين، وذلك في ضوء مشروع روجرز للتسوية (تموز - يوليو ١٩٧٠) الذي قبل به عبد الناصر، وتذرع الاردن